مطولة قتيل الغواشي محمد بن عبد الواحد القصار (صريع الدلاء – البغدادي) تحقيق ودراسة

د . عدنان كريم رجب

الملخص :

سعى الشعراء منذ مطلع العصر العباسي الأول الى ايجاد ألوان من التجديد في أغراض الشعر، وصوره، وأشكاله ، وعلى مر عصوره اهتموا بأنموذج شعري نظموا فيه القصائد المطولة– على الرغم من شيوع المقطوعات والقصائد القصيرة – وارتبط هذا الشكل بالقافية المقصورة ؛ ويبدو لنا انَ روح العصر فرضت طرائق جديدة في التقكيروالتعبير جعلتهم يطربون لهذا النوع الذى أنماز بشكله ؛ومرد ذلك الحرية التى تمتع بها الشعراء فى هذا العصر في شتى ضروب الشعر مما جعلت أمر التصريح بكل جديد أو مخالف شيئا هينا ' فلا وجل من اللهج به.

وهذه القصائد لها من السمات ما يؤطرها عن غيرها من القصائد ،فكان اختيارها البحور الخفيفة كالبحر المتقارب والرجز الى جانب النفس الطويل من خلال الحرية التى أتاحت للشعراء عدم التقيد في الحركة الاعرابية التى كان الشاعر يلتزم بها في القصائد الأخرى .

وتعد محاولة من الشعراء كيلا يبقوا في حدود قواعد الشعرالتى اعتادوا عليها ، لذا سعوا لالتما س طريق جديد للأداء الشعرى ، اذ اعتقدوا أن التحرر من حركة القافية الثابتة التى كانت موضوع عناية الشعراء والنقاد خلاصا ، وقد عاب النقاد على الشاعر الخروج منها وعدوه عيبا واسموه الأقواء ، فكانت محاولاتهم في شكل هذا الفن تعبيرا عن رغبتهم في تجاوز ما يعدون مركبه صعباً، بأن اتخذوا القافية المقصورة غاية يساعدهم على ذلك جهود العلماء الذين اجازوا للشعراء قصرالممدود، مما يسهل عملية انتقاء الكلمات التى تتواءم بحروفها لهذا الضرب من الفن، ووفر زخما لغويا آخر، كى تكون حرية الاختيار أوسع لدى الشاعر، وفى الوقت نفسه فلا يجوز لديهم مد المقصور[1] ، ويعود ذلك الى أصل الكلمة، ففي قصر الممدود حذف زائد وعودة إلى أصل اللفظة، ولكن في مد المقصور ما يخالف ذلك ، ومن نماذجه في الشعر العربي مقصورة ابن دريد والمتنبي وتميم بن المعز والشريف الرضي وابن جابر والتنوخي والارجاني وحازم القرطاجني وقد امتد هذا النوع الى العصور الوسطى والحديثة .

ويبدو أن موضوع قصيدة محمد بن عبد الواحد القصار فيه تفرد عن أغراض الشعر كالمديح والرثاء والغزل والهجاء لاسيما عن موضوع الشعراء المذكورين آنفا ، وهنا تكمن أهمية هذه القصيدة، إذ اتخذ الشاعر من أسلوب السخرية نقدا لاذعا لما يحدث يوميا في الحياة، وهو نقد موجه لسلوك الانسان في عصره ، لذلك حاول الشاعر بلورة معاناته تجاه مجابهته للسلوك الذي يظهر في المجتمع من خضوع وخنوع ، وسفه وجهل ،وظلم وابتزاز ، وهذه المشاعر التى يعانيها الشاعر لا تخرج عن دائرة التأزم النفسي الذى يكابده ، فكأنَ كل حركة داخل البناء الشعري لها قصديتها والنص يستنطق نفسه بنفسه من خلال التقابل في المعنى ، وبذلك تتحقق للشعر وسيلته في التواصل مما يسهم في بناء تجربه شعرية ناضجة نتيجة خضوع تركيبها لفاعلية التجربة الغنية بالألم والحسرة مما يتطلب احداث مشاركة وجدانية فاعلة بينه وبين متلقيه .

ونهدف من وراء هذا العمل وضع مطولته أمام القارئ – كما أراد لها الشاعر – وتحليل بنية خطابه الشعري في اطار التركيبة الاجتماعية لعصره وهي محاولة تكشف عن وظائف تعترف بهذا الخطاب وتأثيره في المتلقي، وتكون منطلقا لقراءة نصوص شعرية اخرى ومحاولة الاقتراب من فهمها .

نبذة عن الشاعر:

شحت المصادر القديمة والمراجع بالمعلومات المفصلة عن حياته ، إذ ما وجدناه لم يعطنا صورة واضحة مترابطة الحلقات عن نشأته و حياته ولايعدو كونه اشتاتا تناثرت هنا و هناك غيرمكتملة الحلقات لاسيما ما يتعلق بحياته الأولى، فتوسعت الثغرات وسادها الغموض ،وهذا يعود لاعراض كتب الأدب في تتبع حياته ؛ وأغلب الظن يعود ذلك إلى شعره الذي عبر فيه عن طبيعة الحياة آنذاك من لهو ومجون وإسفاف، كما في شعر ابن الحجاج وابن سكره ، ولكن في هذه المطولة التى تناقلتها كتب الأدب لم نجد ما يخدش الحياء والذوق إلاَ اشارة بسيطة، كما لمسنا بعض الاشارات التى تعبر عن سيرة حياته ولعل في هذا التحقيق والدراسة ما يقدم شيئا عن شاعريته وسيرته .

أسمه ونسبه:

هو محمد بن عبد الواحد القصار البصري المولد[٢]، وقد ذكره ابن خلكان[٣] باسم: علي ابن عبد الواحد ، وورد اسمه – محمد – مكتوبا على مجموع شعره[٤] ويكنى بصريع الدلاء[٥] وقتيل الغواشي[*] ويبدو ان الثاني أفضل الأمرين لأن في الدلأ من القصد الاجتماعى السئ اكثر مما في الغواشى، ولأنها اكثر شبها في اللفظ بالغواني من الدلأ، لأنهم قابلوا به صريع الغواني، وهو

مسلم بن الوليد الشاعر، وعلى الرغم من ذكره لكلمة صريع كما يدعوه عامة الناس وفي قصيدته هذه؛ يقول:

أنا المسمى بالصريع في الورى بعد أبي العنبس بي قد اقتدى

كما لقب بذي الرقاعتين والبغدادى[٦]. وكنية القصار يبدو أنها لحقت به من مهنة أبيه لأنها تعني قصر الثياب[**]، التى كانت شائعة في عصره .

حياته:

لم نعثر على سنة ولادته باستثناء مكان ولادته وهو البصرة ، ويبدو انه سافر الى مصر في سنة ٤١٢ هـ ومدح خليفتها الظاهر وقد توفي فيها[٧]؛ ومن القاء نظره على شعره في هذه القصيدة نجد انه قد تعرض لحادثة قد غيرت مجرى حياته ، يقول:

وكنتُ ذَا نسك وتقوى صانعا فالعشقُ قد أَوْدى بزبدي والتقى

وقد ذاع صيته من خلال هذه القصيدة وليس فيها من المجون ما يمنع من نشرها سوى بعض الابيات التى تحتمل النشروليس كما أشار إليه جرجي زيدان[٨]، وقد حفلت بالسخرية والنقد اللاذع للزمان والحياة وكان الشاعر يسمى هذه القصيدة باديته[٩].

وصف المخطوطة:

تقع هذه القصيدة المطولة ضمن ديوان شعر الشاعرو الديوان موجود في خزانة أحمد الثالث برقم (٢٤٥٦)، ويعود تاريخ النسخ إلى سنة ٦٢٥ هـ . وهو ماثبَت في نهاية الديوان،وقد خطَ بخط نسخي جميل مضبوط في بعض اجزائه بالتشكيل ؛وعدد الاوراق (٩٨) ورقة ، في كل ورقة (١٤) سطرا .اما قياس أوراق الديوان فهي (١٦ × ٢٤ سم) ،ومنه نسخة في جامعة الدول العربية[١٠]، وهى نسخة مصورة عن مخطوطة مكتبة طوبقو سراي بالاستانة صوَرت سنة ١٩٤٩ . وتوجد منها نسخة مصوَرة ثالثة (ميكروفلم) لدى د. طارق الجنابي. ويبدو أن شعرا فقد من ديوانه ، اذ يذكر الناسخ في مقدمة ديوانه عبارة ((هذا ما اختير من شعر ابي الحسن المعروف بصريع الدلاء، قتيل الغواشى وما وجد منه ...)) ،فعبارة الاختيار وما وجد تعني لنا ان هناك شعرا لم يذكر –بمافيها المطولة– ويقول عنها الثعالبي[١١] وهي طويلة تقرب المائة بيت وقد اعجز الشعراء أن يزيدوا فيها بيتا من حسنها . ومعدل عدد الابيات في كل ورقة ثلاثة عشر بيتا باستثناء مطلع الديوان وأول ما يبدأ الديوان بمطولة الشاعر؛وحاولنا جاهدين مقابلة هذه الابيات أينما وردت في مظان الادب التي ذكرت شعر محمد بن عبد الواحد القصار ؛ والذى يطلع على شعره يجد فيه قصائد طوالا لاتقلَ جودة ومتانة وفصاحة عن قصائد مشاهير الشعراء المعروفين، وتدل على تجربة ناضجة في الشعر وطول معاناة وميله الى الاسلوب الساخر والساخط نتيجة تبرمه من الحياة.

منهج التحقيق:

بما أن المتوافر هو نسخة واحدة كتبت في الربع الأول من القرن السابع للهجرة ،وأن النسخة الموجودة في خزانة أحمد الثالث هي اصلا منقولة عن نسخة ((طوبقو سراي)) ، ونسخة جامعة الدول العربية نسخة مصورة ،والنسخة الثالثة هي عبارة عن ((مايكرو فلم)) لذا اعتمدنا على نسخة طوبقوسراي ؛ وتمت مقابلة الابيات بما توافر من مصادر وأثبتنا الاختلاف فيها في الهامش مع الاستعانة بالمعاجم والمصادر لضبط النص بعد حصره بين قوسين كبيرين ، وشرح بعض الكلمات التى تحتاج إلى أيضاح وبيان ، مع الاشارة إلى المصادر المستقاة منها حتى يكون أقرب الى الصورة التى أرادها الشاعر.

هذا واسأل الله I أن يجعل عملي خالصا لوجهه، وأن يأخذ بيدي نحو الصواب ويبعدني والجميع عن الزلل ؛فما جاء من نجح فيه فمرده الى توفيقه ومنِه، انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير، أنه نعم المولى ونعم النصير، عليه توكلت وإليه أنيب .

القيمة الفنية للقصيدة:

يعد الاهتمام بقراءة قصيدة محمد بن عبد الواحد القصار لمكانتها كنص أدبي في اطار الشعربوصفها متفردة بأسلوبها من خلال إسهام الشاعر في بنائها بناءً ، أنماز فيه ؛ فالانسجام الذي تم في القصيدة من خلال الايقاع الفكري المتوازي والايقاع اللفظي الصوتي لذا كانت مغايرة عن نظيراتها باختلاف التعبير الممزوج بالربط الخيالي ؛ ولم نعثر على دراسة حللت خطابه الشعري بصورة عامة ومن أبرز مظاهرها التى ربطت العلاقة الجدلية بين تجربة الشاعر والتعبيرهى:

التقابل:

من الايفاء لأي نص علينا الاهتمام بالعناصر الأسلوبية المسيطرة عليه التى قصد إليها الشاعر مستخدما اياها بوصفها وسيلة من وسائله لابلاغ ما يراه ويسعى لتحقيقه ،بل ورصد ما لايراه مناسبا والاستخفاف به، مما جعل هذه الوسائل من بين مقتضى حال النص ولامحيد عنها، لأنها تهيمن على النص الذى عكس واقع الحياة ، ويرمي إلى تقويمها ، وهذا يشير إلى رؤية الشاعر التى تتحكم في شكل الخطاب الشعري الاجتماعي ،لاسيما عندما يكون التكرار سمة الصياغة المخصوصة بوسيلة معينة فساعدتها في تشكيل الرؤيا المتضمنة البنية الفكرية التي يجسدها الشاعر في مظهرها الشكلي حيث البنية الأسلوبية ؛وبهذا استطاع الشاعر توظيف وسيلة التعبير بطرائقها مستوعبة كل ما يصل إليها من افكار، ومنها التقابل ، وتعني دلالته اللغوية: المواجهة ومثله وهو قبالتك، اي تجاهك وقيل : هذه كلمة قبال كلمتك كقولك حيال كلمتك[١٢] ومنه استمدت الدلالة الاصطلاحية بوصفها جزءاً من أسلوب بناء القصيدة وهي تعنى التعارض

والتحالف[١٣] ؛ وهنا نجد الشاعر قد وظف التقابل بوصفه عنصرا مهما من مكوناتها البنائية ، والآخر المتمثل بالغياب ، وهما العنصران المكونان الأساسيان للبنية النصية التى مرجعها فلا يكاد بيت من القصيدة يخلو منهما ، ويعود ذلك لطبيعة تجربة الشاعر الاجتماعية ، لان اي شئ في الحياة يقوم على التخالف والتقابل بين بعديه ، وقد تمثل في هذه المطولة بالحضور من خلال الضمير الذي يعود الى التجربة الاجتماعية وتعلقها ايضا بالتجربة الشعرية بوصفها بنية لسانية .فالاولى هى التى تقود الثانية .

وسمات التقابل تتجلى في القصيدة عندما سعى الشاعر الى وصل ما انفصل من خلال ((الانا)) و ((الآخر)) التى تصد المعاني الباحثة عن الانفصال ، وقد تراءت لنا العلاقة التعارضية التى حدثت نتيجة لعلاقة الغياب .

فالأنا المتجسدة في ذات الشاعر تتجلي لنا في القصيدة: ((عقلي – ظللت – ابكي – قلبي – لقلبي – ناديت – سادتي – ازل – اسعى – نفسي – بي – عليَ ...)) ،أما في الطرف المقابل الآخر الذي يمثل الغياب فترد الأشارة إليه بصيغة الضمير ومن مظاهره ((أبصرتهم – يطوون – يحدو– عيسهم – اعلامهم – هم – توقفوا– أحمالهم – أثارهم – مطيهم ..)) .

هذان الطرفان المتقابلان الواصل والمنفصل يمتدان الى البيت الثامن عشر من القصيدة، وهو من اسلوب التقابل الضمني الذي لايظهر في صورة صريحة ومباشرة ، فالعلاقة بينهما تتمثل بعلاقة الغياب او الأبتعاد ومن مظاهرها بوصفها أدوات لسانية ((طار – البين – زمت – ألمَ – الضَنا – حدا الحادي – البين – سعى – ثوى – مضى الدمع – قبضة الهم – اسرى الجوى– النوى – غاب)).

لذا وجدنا ان طريقة بناء القصيدة – بدءا من مطلعها – تقابلية تعارضية بين ذاتية الشاعر الراغبة في التواصل والاخر الممتنع عن كل تواصل ، فكانت علاقتهما علاقة تناء وبعاد، وهذا المظهر يتضح في مقدمة القصيدة التى مظهرها الغزل وفي ضمنها وباطنها موقف اجتماعى رافض للواقع الذى يرمي الى اصلاحه، ولاسيما عندما ينتقل من التقابل الظاهرى في المعنى يقول:

فسوف اسلي عنكم خواطري بحمق يعجب منه من وعا

ويلمح الشاعر الى طبيعة العلاقة المتمثلة بالبعاد بين الأنا والآخر التى استعاض عنها ((بالحمق))، وهو يرمى الى التعبير عن رفضه للواقع الاجتماعى المتمثل في السلوك الخاطئ الذى أبتعد عن كل ما يمت للعقل والحكمة والقيم الاجتماعية بصلة ، فكانت دلالته مقصودة كى ينتقل منها الى الضرب الثاني من التقابل ؛ثم ينتقل الشاعر الى ضرب من التقابل الضمنى بوصفه من العناصر الاسلوبية المنتجة لآلية القصيدة ،وربما يكون على رأسها ، لأنه لايرتكز

بموضع دون آخر في هذه المطولة ، لذا يعد من مكونات بنائه لأنه يفتح لنا فجوة عميقة بين ما هو كائن وما يمكن أن يكون عليه أى بين التعقل والتهور وبين التسامح والاستمرار في الاساءة ويتمثل بين الاعتداء والتجاوز على الاخر ، وما ينبغى أن يكون من رد الفعل يقول :

من صفع الناس ولم يدعهم أن يصفعوه مثله قد اعتدى

بل يمتد التقابل ليصبح ثنائيا داخل البيت الواحد الشعري ما بين عجزه وصدره الذي يروم تناول الحرام ، ويظهر عليه ذلك من خلال سواد فمه ، ومن يريد أن يرى الاشياء بوضوح عليه عدم نفخ المصباح وإلاَ اصبحت حياته سوداء كسواد الكحل ، فيجب عليه أن يحكم بصيرته وبصره ، وهذا ما نراه في قوله :

من أكل الكحل تسوَد فمه من نفخ المصباح يوما انطفا

وهذا النوع من التقابل يظهر عادة في المطولات الشعرية ومنها هذه القصيدة التى نقلتها المصادر الادبية بتفردها في اسلوبها وموضوعها ،وعلى المرء ان يقتاد قوت يومه من خلال العمل فالتغذية ضرورية للانسان ، وبعكسه سوف توهن صحته وتخور قواه ويصبح أشبه بالعاجز لان الطعام طاقة يقول :

من ترك الخبز ثلاثا لم يكن به حراك ووهت منه القوى

وقد تشترك بعض الالفاظ والعبارات المباشرة في تلمس الدلالة التقابلية نحو:

والمرء قد يبصر ما قدامه ولايكاد أن يرى الى ورا

فالتقابل اللغوي بين ((قدام – وورا)) و بين عبارتى ((قد يبصر – ولايكاد ان يرى)) جمعت بين الماضي وتجاربه التى يمر بها وبين المستقبل وما يمكن أن ينتفع به مما مضى وهى محاولة للتذكير ،لأن الانسان لاينظر إلاَ لما يكون عليه مستقبلا وينسى الماضي.

وهذه الالفاظ مع جملها تشكل جزءا من المعادلة الثانئية الضدية ،اذ يكثف الشاعر الفاعلية الدلالية والتعبيرية فى الخطاب الأدبي ،وتقوم هذه البنية على تحقيق انزيحات أسلوبية من خلال مجموعة من المتنافرات توحى بحركية، فيندفع معها النص لتحقيق دلالته متمثلة بثنائية الشطرين يقول:

ما كان أحلى عيشتى بقربهم وما امر العيش ايام النوى

وثنائية متوازية متقابلة لا تتقاطع،يقول:

فأن تغب وجوههم عن ناظري فذكرهم مستودع طي الحشا

فحلاوة العيش بقرب الاحباب تقابله مرارة العيش ايام الفراق وبعد الأحبة وكذا غيابهم عن النظر وابتعادهم، وفي الجهة المقابلة توازيه الذكرى التى يحملها الانسان في حله وترحاله.

وحالة التوازي المتقابل يتمثل في عبارات نحو : ((طار عقلي)) موازيه و((كأن قلبى)) و((حين ابصرتهم)) موازية ((حين زمت عيسهم)) وهنا ينتقل التقابل المتوازى الى ما بين الابيات .

الظاهرة الصوتية:

لعل ظاهرة التوازى في سياق النص انتجت لنا ظاهرة صوتية بارزة بعد التقابل المعنوي والفكري ،وقد أتت منسجمة مع آلية الأسلوب الخاص بالتعبيرعن جملة من الافكار التى اراد لها الشاعر ان ينتقد فيها ويسخر من شيوعها في المجتمع ؛وهو اسلوب انماز بالترهيب من بعض مظاهر السلوك الانساني والابتعاد عنها بأن يوازي بالنتيجة التى يصل إليها هذا السلوك . ومن هنا تم التقابل الدلالي والايقاعي ، وقد تحققت هذه الظاهرة الصوتية بالجمل المتوازية ، وهذا النوع يعد غير تام الذي تتنوع فيه الفقرات تنوعا يكسر الرتابة حتى كأنَ النص قد قطَّع ايقاعيا، وكأنّه قطعة موسيقية ذات الالحان المتباينة والمؤتلفة في سياق النص العام لتنتج ايقاعا يتوزع بين اللين والشدة فنراه يقول :

من أكل الكحل تسوَد فمه
من ناطح الكبش تعجررأسه
من مضغ الاحجارآذى ضرسه
من طاعن الدبس انشى مدبقا
من رافس البغل مشى من وقته

وهذه السمة تنقل النص من مضمونه المعنوى الى طاقاته الايقاعية ،فالايقاع يعتمد على توازن العناصر ،وهو توازن يقوم على مبدأ التعارض بين الاشياء ، يقول :

والصبح قبل الليل يبدو طالعا وأول الليل اذا جاء العشا
وظلمة الليل البهيم للفتى أستر عند الخوف من شمس الضحى

وهنا نلمس التقابل ممثلا في المدى الزمني الذي يتصاعد وينخفض حتى يلقى عند المتلقى إيقاعا يتناغم مع إيقاع النص فيجد نفسه منساقا وراءه ، وقد سيطر عليه الايقاع ؛ وبما ان لغة النص مفهومة لذا يلجأ الفكر في مثل هذه النصوص الى استيعاب الايقاع وما يكمن وراءه من دلالات ، وانَ اى انسجام تم بين الايقاع الصوتي والمعنوي يقوم أساسا على مبدأ المزاوجة عبر التنوع في المقاطع الايقاعية بمسافات منتظمة، ومما تقدم يبدو اندفاع الشاعر في التعبير بهذه الطرائق بوصفها نوعاً من خصوصية التعبير لنصه التى تدفعه الى محاولة اقناع الآخر ليفرض عليه نوعاً من الاستمالة وكسب الود لعله يستجيب لها ،وبذلك تقوم العلاقة بين ثنائية الشاعر والمتلقى وينتج عنه مشاركة وتفاعل وهذا ما كان يرمي إليه قتيل الغواشي في هذه المطولة.

ونستنتج من ذلك، لا نرانا مغالين إذ نقول ان الفن هو وليد توق الشاعر بنزعته الانسانية الى الحرية ، وشعوره بها شعورا عميقاً ، يفك عقال نفسه من القيد، فينبري للاشياء يهدمها ويبنيها من جديد ، فالشاعر باسلوبه في هذه القصيدة حاول التحرر من العبودية التلقيدية للقصيدة وطرائقها ، لذا مثلت النزعة الرئيسة التى تصدر عنها التجارب الشعرية للشاعر او في لاشعوره ، انها نوع من التململ والضيق بعبء عالمه الخارجي الذي يجثم بثقله الجارف على صدره دون اي تبدل ويسيطر عليه سيطرة تامة مخبؤه في النفس بعمق مما تدفعه الى التمرد على تلك الحدود القاهرة، فاليأس الذي دفعه للتحدث عنها بهذا الاسلوب الذي انماز به وما هذه المطولة الا ليعكس اليأس المطبق الذي انتهت اليه حيرته ، وهكذا يبدو لنا ان مسلك الشعر يسير على وتر غيبي .

نص مطولة محمد بن عبد الواحد القصّار
قتيل الغواشي

النص: [الرجز]

أَيْسُر أسْبَاب الهَوى فَرط الجوى ... يَا ويحَ مَنْ يَهْوى الى بَحر الهَوى(١٤)
و طَارَ عَقْلي حِينَ أبْصرتهم ... تَحْتَ ظَلامِ الليل يطْوون السُّرى
ظللتُ [أبْكي](١٥) أسفاً لبيْنِهم ... والَبيْنَ يَحْدو بِهم مَعَ مَنْ [حَدا](١٦)
كأنَ قَلْبى حِين زمَتْ عِيسهم ... تَحْتَ مَخاليب [صَقورات](١٧) الشرا
كأنَّ أعلامَهمُ حَناجِرٌ ... تجنى لقلبي ألما و ما جنا
نَاديتُهم يَا سَادتي توقَّفوا ... بقلبٍ موقوفٍ على سُبلِ الضَنا
ومدَت الاعناقُ [أحمالَهم](١٨) ... لمَّا حدا الحادي وأصغتْ للندا
وَلَم أزلْ [أسعى](١٩) على اثارِهم ... والبين في أتلاف نفسي قد سعى
وغابَ عن عيني أربابُ الهوى ... وانقطع الحبلُ وخابَ المرتجى
[فلو درت مطيهم وما حلَ بي ... بكت عليَ في الصباح والمسا](٢٠)
ياليتهم اذ خلفوني [لقوما](٢١) ... جادوا بتوديع لصبَ قد ثوى
لا زلتُ أبْكيهم بدمعٍ [سائل](٢٢) ... فأن مَضى الدمعُ تباكيتُ الدَما
اذ كان قَدْ شطَت بهم ديارُهم ... في قبضة الهمَ وفي أسرِ الجوى
مَا كان [أحلى](٢٣) عِيشتي بقربِهم ... وما امرَ العيش أيَّام النوى
يا سادة نأوا وقلبي عنْدهم ... مُذ غبتم قد غابَ عن عيْني الكرى
فأن تغب وجوههم عن ناظري ... فذكرهم مستودع طيَ الحشا

إن كنتم أوليتموني جفوة [أتبعتموها بما لآل][٢٤] وقلى
فسوف أسلي عنكم خواطري بحمق من يعجب منه من [وعا][٢٥]
في عجبه أنظمها قصيدة اذ كنت قصارا صريعا للدلى[٢٦]
فأستمعوها فهي أولى بكم من زخرف القول ومن خطب المرا[٢٧]
من صفع الناس ولم [يدعهم][٢٨] أن يصفعوه مثله قد أعتدى[٢٩]
من أكل الكحل تسوَد فمه من نفخ المصباح يوما أنطفا[٣٠]
من ناطح الكبش [تعجر][٣١] رأسه وسال من مفرقه شبه الدما
من مضغ الاحجار أذّى ضرسه والضرس لم يخلق لتلين الحصا
من نام لم يبصر بعين رأسه من تطاطا راكعا قد انحنى
ومن مشى في السوق لا من حاجة متكشّف الرأس فقد ألقى الحيا
من طاعن الدبس أنشى مدبقا و من سعى بسرعة فقد عدا
من رافس البغل مشى من وقته بين الانام [مائلا][٣٢] على العصا
من ترك الخبز ثلاثا لم يكن به حراك ووهت منه القوى
من طالب الناس بما ليس له عليهم من حقّه قد اعتدى
من لم يرد أن يلتقي [بطائف][٣٣] يدخل في منزله قبل العشا
من صعد السطح فألقى نفسه الى قرار الدار يوما أرتدى[٣٤]
من جمّر النخل وأمسى راجيا ثمارها فذاك مقطوع الرّجا
ومن طلا بالخير حرّ وجهه حكى سواد ليله اذا [دجى][٣٥]
من لبس الكتّان في وسط الشتا ولم يغطّ رأسه شكا الهوا
والناس مذ كانوا اذا هبّ الهوى يجتنبون نومهم تحت السّما
و لا يكون شهور صيفهم من الثلوج ما يكون في الشتا
وأهل سيران فلا يمكنهم أن يلبسوا في شهر تموز الفرا
[ومن أراد أن يصون رجله فلبسها خير له من الحفا][٣٦]
والماء لا يثبت في دوحلة وقد يقدّم الماء في قعر الرّكا
من قرّب النار الى لحيته تشوّطت مثل رؤوس تشتوى
من اشترى الخبز تعشّى أهله ومن نسى الخبز بقى بلا عشا
من أكل التمر وأرمى عجوه ثم تفقّده يراه كالنّوى
والمرء قد يبصر ما قدّامه و لايكاد أن يرى الى ورا
[وألف حمل من متاع تشترى أنفع للمسكين من لقط النوى][٣٧]

والدّرج يلقى بالنّشا ملصق والسّرح لا [يلصق][٣٨] إلاّ بالغرا
وليس للبغل اذا لم ينبعث من الطريق باعثا مثل العصا
والصّبح قبل الليل [يبدو][٣٩] طالعا وأول الليل اذا جاء العشا
وظلمة الليل البهيم للفتى أستر عند الخوف من شمس الضحى
و[الكوكب][٤٠] الطالع لو قلت له تيتى وتيتى ثم تيتى ما دنا
والجبل الراسخ لو صحت به كما يصاح بالحمار ما مشى
والطائر الوحشى لو كششته طار ولو دانيته لما دنا
[والذّقن شعر في الوجوه ثابت وأنما الدّبر الذي تحت الخصا][٤١]
وليس يجزى في الفراش عاقل والطفل قد يسلخ في فرش الصبا
والجوز لا يؤكل مع قشوره ويؤكل التّمر الحديث[٤٢] باللّبا
فالفرس الميت لو جرّيته مع الحصان الحّي يوما ما جرى
والندّ لا يعدّله في طيبه عند البخور ابدا نثر الخرا
والماء من عادته حمل الركا والسّفن لا تحمل إلا بكرا
والعري يوم الحر فيه راحة والبرد لا بدّ له من الكسا
من شرب الخمرة أمسى ثملا ومن أفاق في غد فقد صحا[٤٣]
من طبخ الديك ولم يذبحه طار من القدر الى حيث يشا
من قامر الناس ولم يعطهم ما غلبوه فعليهم قد طغا
من مسّه القطر تندّى ثوبه والشمس لا تجلب للثوب [الندى][٤٤]
من لم يجد ثوبا سوى أزاره واعتنم في الرأس مشا بلا ردى
[من دخلت في عينه مسلّة فسأله من ساعته كيف العما][٤٥]
من صافع الناس تخرّق قبّه ومن دنا للسوق وافاه المرا[***]
من سرّه أمر تراه ضاحكا ومن جرت دموعه فقد بكا
[من شرب المسهل في فصل الدوا أطال ترددا الى بيت الخلا][٤٦]
من عدم الماورد لم يقم له مقامه في طيبه دهن الّسلا
من فاته العلم ولم يؤت الغنى فذاك والكلب على حال سوا[٤٧]
فيا لشعر من رقيع بارع لمدرس العلم على أهل الحجا
ولم يعارض بالعروض شعره ولا روى عن الثقات ماروى
أنا المسمّى بالصريع في الورى بعد أبي العنبس[٤٨] بي قد أقتدى
وابن دريد[٤٩] لم يكن في شعره مثلي في جهلي ولا من قد مضى

والمرء ينبئ قوله عن عقله	فالحمد لله على فقد النّهى
قد كنت أظهرت لكم انموذجا	فاليوم حقي كلّما عشت نما
وأن أعش أبدع مقالا معجبا	فادعوا جميعا لعزيزى بالبقا
قد كان عقلي عوده لاينثني	فاعوّج مذ صغت القريض والتّوا
وكنت ذا نسك وتقوى صانعا	فالعشق قد أودى بزبدي والتّقى
ومحمق الرأى مع العقل فقد	خشيت من أن يبلغ السّيل الزبى
انّي أنا القصّار شعري طرفة	وصوت حمقي في البلاد قد علا
عارضت فيما قلت ذا معرفة	قال مقالا حسنا لا يدّعا
فتلك كالدّرة صاف لونها	وهذه في وزنها مثل الحذا
[أما تري رأسى حاكى لونه	طرّة صبح تحت أذيال الدجى][٥٠]

ثبت الهوامش

(١) ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش ٢٨/٦، المقصورات في الشعر العباسي ، أطروحة دكتوراه كلية الاداب الجامعة المستنصرية ١٩٩٦.

(٢) ينظر: تتمة اليتيمة: ١٢/١– ١٥، فوات الوفيات، ٤٢٤/٣، العبر في أخبار من غبر : ١١٠/٣،البدايةوالنهاية:١٣/١٢،سيرأعلام النبلاء: ٣٥٢/١٧– ٣٢٦،المختصر في أخبار البشر:١٥٢/٥.

(٣) ينظر: وفيات الأعيان : ٣٥٩/١.

(٤) مخطوطة الديوان و ١.

(٥) وردت [صريع الدلال] ينظر: البداية والنهاية ١٣/١٢، والصيحيح ما ثبت ومفردها الدلو.

(*) وردت في سورة الأعراف قال تعالى[لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش] الآية٤١،وهي تعني اغطية من النار،وإغماء وهي ممنوعة من الصرف، ويقال:تغشى المرأةاذا علاها، وغشى المرأة غشيانا جامعها ، ينظر:لسان العرب مادة غشا.

(٦) ينظر :تتمة اليتية ١٢/١.

(**) ينظر:لسان العرب مادة قصر .

(٧) ينظر :حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ٥٦٢/١.

(٨) ينظر:تاريخ اداب اللغة العربية ٢٦١/٢– ٥٦٢.

(٩) المصدر السابق.

(١٠) تحت رقم ف ٦٣٨ من ٢١٤٠/١١٤ واسم الكتاب:ديوان محمد بن عبد الواحد البغدادى

(١١) تتمة اليتمة ١٥/١ .

(١٢) ينظر: لسان العرب ،مادة: قبل .

(١٣) ينظر: نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين ١٧٢ .

(١٤) يروي الثعالبي مطلعا آخر لهذه المطولةولم نعثر على من يؤيد قوله:

قلقل أحشائي تباريح الجوى وبان صبري حين حالفت الأسى

تتمة اليتيمة: ١٥/١ .

(١٥) وردت [أبلى] المخطوطة و ١ . والصحيح ما ثبت .

(١٦) الحدا من الحدو سوق الابل والغناء لها، وقد وردت [حدى].
(١٧) وردت [صمورات] المخطوطة و١ .والصحيح ما ثبت عن يتيمة الدهر ١٥/١ ،وحسن المحاضرة السيوطي ٥٦٢/١.
(١٨)وردت في الأصل [احماله] و٢ ، والصحيح ماثبت .
(١٩)وردت في الأصل [أسعا ..... وسعا] المخطوطة و ٢ظ ، والصحيح ما ثبت .
(٢٠) ورد البيت في الوافي بالوفيات ولم يرد في بقية المصادر ٦٢/٤٠ .
(٢١)وردت في الاصل [لغوما] المخطوطة و ٣ ، والصحيح ما ثبت.
(٢٢) وردت في الاصل [سايل] بتسهيل الهمزة .
(٢٣)وردت [بانوا] برواية الثعالبي،ينظر: تتمة اليتيمة ١٥/١ .
(٢٤)وردت [اتبعتمو بالآل] المخطوطة و ٣ ، والصحيح ما ثبت عن البداية والنهاية ١٣/١٢.
(٢٥)ورد البيت برواية اخرى :

فسوف أسلي عنهم خواطري بحمق يعجب منه من وعا

الوافي بالوفيات :٦٢/٤، وفي تتمة اليتيمة ١٥/١ وردت [صبابتي] بدلا من خواطري
(٢٦) ورد البيت برواية اخرى:–

وطرف أنظمها مقصورة اذ كنت قصارا صريعا للدلا

تتمة اليتيمة : ١٥/١، البداية والنهاية :١٣/١٢، العبر:١١٠/٣،فوات الوفيات :٢٢٥/٣.
(٢٧) ورد البيت برواية أخرى :

فاستمعوها فهي أولى لكم من زخرف القول ومن طول المرا

فوات الوفيات : ٢٢٥/٣.
(٢٨) وردت [يعوهم] والصحيح ماثبت عن : تتمة اليتيمة ١٥/١، والبداية والنهاية ١٣/١٢ .
(٢٩) ورد البيت برواية أخرى:

من صفح الناس ولم يدعهم أن يصفعوه فعليهم أعتدى

فوات الوفيات :٤٢٥/٣ ، سير أعلام النبلاء: ٣٢٦/١٧ .
(٣٠) ورد البيت برواية اخرى :

من أكل الفحم يسوّد فمه وراح صحن خده مثل الدجى

فوات الوفيات : ٤٢٥/٣ .
(٣١) وردت [يضجر] ،المصدر السابق .
(٣٢) ورد ت بتسهيل الهمزة المخطوطة و ٤ .
(٣٣) وردت [بهارق] المصدر السابق .
(٣٤) ورد البيت برواية اخرى :

من صعد السطح وألقى نفسه إلى قرار الارض يوما أرتدى

الوافي بالوفيات : ٤/ ٦٢ .
(٣٥) وردت [دجا] المخطوطة و ٤ ، والصحيح ما ثبت .
(٣٦) ورد البيت في فوات الوفيات : ٤٢٥/٣ .
(٣٧) ورد البيت في : حسن المحاضرة : ١/ ٥٦٢.
(٣٨) وردت [يلزق] ،ينظر : فوات الوفيات :٤٢٥/٣.
(٣٩) وردت [يبدوا] المخطوطة ظ ٥ ، والصحيح ما ثبت .
(٤٠) وردت [الكواكب] المخطوطة و ٦ ، والصحيح ما ثبت .

(٤١) ورد البيت في : الوافي بالوفيات : ٤/ ٦٢ ، وفوات الوفيات : ٤٢٥/٣ .
(٤٢) وردت [الجديد] في : الوافي بالوفيات :٦٢/٤ .
(٤٣) ينظر : الوافي بالوفيات :٦٢/٤، فوات الوفيات : ٤٢٥/٣ ، شذرات الذهب ١٩٧/٣.
(٤٤) وردت [الندا] المخطوطة و ٧ ، والصحيح ما ثبت لأن الندى المطر والبلل ويقال ندى الشئ أي ابتل .
(٤٥) ورد البيت في حسن المحاضرة : ١/ ٥٦٢ .
(***) القب : الظهر اذا ضرب بالسوط ، والمراء : الجدال ويقال ما راه أي الشك فيه .
(٤٦) ورد البيت في فوات الوفيات : ٤٢٥/٣ .
(٤٧) أشار السيوطي الى ان هذا البيت هو آخر بيت في القصيدة ينظر : حسن المحاضرة :١/ ٥٦٢ .
(٤٨) ذكر الثعالبي في تتمة اليتيمة ١٢ ، انه عارض بهذه القصيدة أبا العنبس في تأخير المنفعة .
(٤٩) هو ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ٢٢٣– ٣٢١ هـ ، ولد في البصرة أخذ النحو عن السجستاني والرياشي ، رحل الى عمان ثم عاد الى البصرة ومن مؤلفاته : كتاب الجمهرة وله ديوان شعر واشتهر من شعره مقصورته ، ينظر : معجم الأدباء : ٣٢٢، شذرات الذهب : ٢٨٩/٢ ، تاريخ بغداد ٢/ ١٩٥ ، معجم الشعراء المرزباني : ٤٦١.
(٥٠) هذا البيت مطلع قصيدة ابن دريد التى مطلعها :

ياظبية أشبه شيئا بالمها ترعى الخزامى بين أكوام النقى

ديوان ابن دريد ، ١٢٩ ،دراسة وتحقيق عمر السالم الدار التونسيه ١٩٧٣م.

ثبت المصادر والمراجع

١– البداية والنهاية ،ابن كثير الدمشقي ت ٧٧٦هـ بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٤.
٢– تاريخ آداب اللغة العربية جرجي زيدان ،مراجعة دشوقي ضيف دار الهلال بلا تاريخ.
٣– تاريخ بغداد، الخطيب البغدادى ، منشورات مطبعة السعادة ،القاهرة ١٩٣١م.
٤– تتمة اليتيمة ،ابو منصور عبد الملك بن اسماعيل ت٤٢٩هـ ،نشر عباس اقبال،طهران ١٣٥٣هـ.
٥– حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ،جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ،تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم الطبعة الاولى دار احياء الكتب العربية ١٩٦٧هـ.
٦– ديوان ابن دريد ،تحقيق ودراسة عمر السالم،الدار التونسية ١٩٧٣.
٧– ديوان الارجاني،تحقيق محمد قاسم مصطفى وزارة الثقافة والاعلام بغداد ١٩٧٩.
٨– سير اعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن احمد الذهبي حققه شعيب الارناؤوط ومحمد العرموس مؤسسة الرسالة الطبعة الرابعة.
٩– شذرات الذهب في اخبار من ذهب،ابو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي،منشورات دار المسيرة بيروت بلا تاريخ.
١٠–شرح المفصل،موفق الدين بن يعيش بن علي، منشورات عالم الكتب بيروت بلا تاريخ.
١١–العبر في اخبار من غبر، الحافظ الذهبي،تحقيق فؤاد سيد،الكويت١٣٧٠–١٩٦١م.

١٢– فوات الوفيات والذيل عليها، محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق احسان عباس ،دار صادر بيروت ١٩٧٨م.
١٣– لسان العرب، ابن منظور، دار صادر ,١٩٧٨
١٤– المختصرفي اخبار البشر، ابو الفداء اسماعيل بن علي ،طبعة مكتبة المثنى بغداد ١٩٦٩
١٥– معجم الأدباء،ياقوت الحموي، دار المأمون مصر بلا تاريخ .
١٦– معجم الشعراء، ابو عبدالله محمد بن عمران المرزباني تحقيق عبد الستار احمد فراج ١٩٦٠م دار احياء الكتب العربية مطبعة عيسى البابي الحلبي.
١٧– المقصورات في الشعر العباسي، اطروحة دكتوراه ،كلية الاداب الجامعة المستنصرية.
١٨– نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين، الفت محمد ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م.
١٩– الوافي بالوفيات صلاح الدين الصفدي، اعتناء س دردينغ،الطبعة الرابعة المطبعة الهاشمية ١٩٥٣م.
٢٠– وفيات الأعيان وانباء الزمان، ابو العباس شمس الدين احمد بن ابي بكر، تحقيق محمد محمد محيى الدين عبد الحميد ١٩٤٨م.
٢١– يتيمة الدهر ،ابو منصور عبد الملك بن اسماعيل،تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة القاهرة ١٩٥٦م.